ثقافات متنقلة

من: مسارات: السفر والترجمة في أواخر القرن العشرين (1997)
جيمس كليفورد

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة المحرر

إذا كانت غالبية الأعمال المبكرة لجغرافيي الثقافة قد ركزت على المظاهر الطبيعية الريفية ، وما قبل الصناعية ، والثقافية الشعبية ، فإنهم لم يكونوا وحدهم في السياق الأكاديمي الأوسع . فعلى سبيل المثال ، مال علماء الأنثروبولوجيا أيضًا إلى دراسة المناطق الريفية ، وما قبل الصناعية ، وحتى المناطق الغريبة في جميع أنحاء ما يُعرف الآن بـ"العالم الثالث" أو "العالم النامي" . وبسبب هذا التركيز، ارتبطت الأفكار المتعلقة بمفهوم الثقافة بطرق عديدة بالدراسات التجريبية لمجتمعات صغيرة جدًا - قرى في معظمها - موصوفة في سرديات إثنوغرافية حية ، غالبًا ما جعلت هذه المواقع تبدو وكأنها عوالم قائمة بذاتها .

وقد مالت الدراسات الإثنوغرافية التقليدية إلى وصف المجتمعات كما لو كانت على صلة ضئيلة أو معدومة بالعالم الخارجي . حدث هذا جزئيًا لأن العالم الخارجي كان يُنظر إليه غالبًا على أنه عالم حديث وصناعي وحضري يُهدد العالم التقليدي للمجتمعات الصغيرة . ولعل أبرز الشخصيات المرتبطة بدراسات الإثنوغرافيا للمجتمعات التقليدية المعزولة هو برونيسلاف مالينوفسكي ، الذي وضع وصفه لسكان جزر تروبرياند في كتابه "رواد غرب المحيط الهادئ" (1922) معيارًا لما يُعرف الآن بالإثنوغرافيا التقليدية .

تُظهر صورة فوتوغرافية قرب بداية كتاب "رواد غرب المحيط الهادئ" "خيمة عالم الإثنوغرافيا" بين مساكن تروبرياند . مثّل بحث مالينوفسكي ، في ذلك الوقت ، انحرافًا جذريًا عن أساليب البحث التقليدية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . رفض الطريقة السطحية التي اتبعها علماء الأنثروبولوجيا في دراسة الجماعات الثقافية آنذاك (استدعاء "مخبرين" للحديث عن الثقافة في معسكر أو على شرفة ، على حد تعبير جيمس كليفورد) ، وجادل بدلاً من ذلك بأنه يجب على المرء أن يعيش "مع السكان الأصليين" لفترة طويلة من الزمن ، وأن يتعلم لغتهم ، وأن يشارك في حياتهم اليومية . ومع ذلك ، كان لهذا التركيز المكثف تأثير، لا سيما في الرواية الإثنوغرافية التي كُتبت لاحقًا عن العمل الميداني ، على رؤية المجتمع كما لو كان موجودًا في فقاعة ، معزولًا عن العالم الخارجي .

تُشكل صورة خيمة مالينوفسكي في كتاب "رواد الأرغون" نقطة انطلاق لجيمس كليفورد لاستجواب أوجه القصور في هذا الأسلوب من البحث الإثنوغرافي . فالخيمة ، في نهاية المطاف ، مسكن بُني للسفر، وكان مالينوفسكي نفسه مسافرًا ، "غريبًا" بالمعنى الذي عرّفه سيميل للمصطلح . في كتابه "الثقافات المتنقلة" ، يبدأ كليفورد بالقول إن الإثنوغرافيا التقليدية قد أخفت السفر الذي يحدث في بناء روايات مثل رواية "أرغونوتس" لمالينوفسكي . كتب كليفورد : "لقد كنتُ أجادل بأن الإثنوغرافيا (في الممارسات المعيارية لعلم الأنثروبولوجيا في القرن العشرين) قد فضّلت علاقات السكن على علاقات السفر". هذا يعني ، على سبيل المثال ، أن "مجال" العمل الميداني كان مكانًا يُسافر إليه بدلًا من كونه فضاءً للسفر نفسه . في الواقع ، يجادل كليفورد بأن الإثنوغرافيا ليست مجرد ممارسة سفر فحسب ، بل يعتمد علماء الإثنوغرافيا عادةً على مُخبرين هم أنفسهم "مسافرون" ، أشخاص سبق لهم... سافروا خارج مجتمعاتهم الأصلية ، ولذلك فهم مستعدون لترجمة ممارساتهم الثقافية بطرق يفهمها الغرباء .

بعد اقتراحه أن نفكر في الفنادق كنوع بديل من الفضاءات التي تتجلى فيها الثقافة أيضًا ، يدعو كليفورد إلى إعادة تفكير شاملة في فضاءات الثقافة ، والنظر في تأثير إعادة التفكير هذه على فهمنا للثقافة نفسها . (هناك أوجه تشابه واضحة هنا مع الحجج التي طرحها غوبتا وفيرغسون) . وهذا يعني ، كما يقترح ، التفكير بشكل مقارن "في المسارات / الجذور المميزة للقبائل ، والأحياء ، والأحياء الفقيرة ، وأحياء المهاجرين" حيث تخضع أفكار "الوطن" و"الوطن الأم" لنقاش ومراجعة وإعادة ابتكار مستمرين . وهذا يعني النظر إلى مواقع بحث جديدة مثل "الحدود" و"الدوائر" بدلًا من المجتمعات المحددة جيدًا أو المغلقة . في النهاية ، يدعو كليفورد إلى اقتلاع الثقافة من استعارة راتزل عن الشجرة .

جيمس كليفورد ، المؤرخ المُدرَّب ، أستاذٌ لتاريخ الوعي في جامعة كاليفورنيا ، سانتا كروز ، منذ عام ١٩٧٨. ومن بين مؤلفاته : "كتابة الثقافة : شعرية وسياسات الإثنوغرافيا" (١٩٨٦) ، الذي شارك في تحريره مع جورج ماركوس ، و"مأزق الثقافة : الإثنوغرافيا والأدب والفن في القرن العشرين" (١٩٨٨) ، و"الطرق : السفر والترجمة في أواخر القرن العشرين" (١٩٩٧) ، كان ناقدًا مؤثرًا في الإثنوغرافيا والثقافة . وكان لعمله تأثيرٌ واسعٌ على الدراسات الثقافية يتجاوز الأنثروبولوجيا ، كما أن لحججه حول إعادة التفكير في المساحات التي نُصوِّر فيها الثقافة تأثيرًا مباشرًا على جغرافية الثقافة . وعلى وجه الخصوص ، أنبأ عمله بتطور دراسات التنقل في جغرافية الثقافة وعلم الاجتماع . إن دعوة كليفورد إلى "فتح" الأماكن المغلقة في الإثنوغرافيا التقليدية تُحاكي دعوة دورين ماسي إلى "إحساس تقدمي بالمكان" . ومع ذلك ، فقد تعرض تركيزه على السفر لانتقادات الجغرافيين أيضًا لتجاهله القوة المستمرة للارتباطات المكانية . ((كلمة في مؤتمر بعنوان "الدراسات الثقافية ، الآن وفي المستقبل" ، شامبين-أوربانا ، إلينوي، 6 أبريل/نيسان 1990)) .

للبدء ، اقتباس من سي. إل. آر. جيمس في كتابه "ما وراء الحدود" : "سيمر الزمن ، وستسقط الإمبراطوريات القديمة ، لتحل محلها إمبراطوريات جديدة . كان لا بد من أن تتغير علاقات الطبقات قبل أن أكتشف أن المهم ليس جودة السلع والمنفعة ، بل الحركة ، ليس أين أنت أو ما تملك ، بل من أين أتيت ، وإلى أين أنت ذاهب ، وسرعة وصولك" . أو لنبدأ من جديد بالفنادق . يقول جوزيف كونراد في الصفحات الأولى من كتاب "النصر" : "العصر الذي نُخيّم فيه كمسافرين حائرين في فندق صارخ ومضطرب" . في فيلم "Tristes Tropiques"، يستحضر ليفي شتراوس مكعبًا خرسانيًا ضخمًا يقع في قلب مدينة غويانيا البرازيلية الجديدة عام ١٩٣٧. إنه رمزه لوحشية الحضارة ، "مكان عبور، لا مكان إقامة" . الفندق كمحطة ، أو مبنى مطار ، أو مستشفى : مكان تمر به ، حيث تكون اللقاءات عابرة ، عشوائية .

صورة رمزية أحدث : الفندق كرمز لما بعد الحداثة في "وسط مدينة" لوس أنجلوس الجديد - فندق بونافنتشر لجون بورتمان ، مستوحى من... فريدريك جيمسون في مقال مؤثر بعنوان "ما بعد الحداثة ، أو المنطق الثقافي للرأسمالية المتأخرة" . ترفض منحدرات بونافنتشر الزجاجية التفاعل ، عاكسةً محيطها ؛ لا منفذ ، ولا مدخل رئيسي . في الداخل ، متاهة مُربكة من المستويات تُحبط الاستمرارية ، وتُعيق التجول السردي للمُتسكع الحداثي . أو ابدأ بـ"تقرير من جزر البهاما" لجون جوردان - إقامتها في فندق شيراتون البريطاني الاستعماري . امرأة سوداء من الولايات المتحدة في إجازة... تُواجه امتيازاتها وثروتها ، ولقاءات مُزعجة مع أشخاص يُرتبون الأسرّة ويُقدمون الطعام في الفندق... تأملات في شروط التواصل الإنساني ، وتحالفات تتجاوز الطبقات والأعراق والأجناس والمواقع الوطنية .

ابدأ من جديد بمنزل داخلي في لندن ، مكان تصوير فيلم "رجال مقلدون" لـ ف. س. نايبول - مكان مختلف من الزيف ، والمنفى ، والزوال ، وانعدام الجذور . أو الفنادق الباريسية ، منازل بعيدة عن الوطن

للسرياليين ، نقاط انطلاق لرحلات حضرية غريبة ورائعة : نادية ، بايسان دو باريس . أماكن تجمع ، وتجاور، ولقاء عاطفي - "فندق الرجال الكبار" . ابدأ من جديد مع قرطاسية الفندق وقوائم المطاعم المبطنة (بخرائط النجوم) في صناديق جوزيف كورنيل السحرية . بدون عنوان : فندق دو ميدي ، فندق دو سود ، فندق إيتوال ، فندق إنجليزي ، فندق جراند دي يونيفرس .

جمالٌ مُحاطٌ بلقاءاتٍ عابرة – ريشة ، محامل كروية ، لورين باكال . فندق / موقع يُذكرنا ، ولكنه ليس مماثلاً - لا يوجد علامة مساوية - للمذابح الرائعة الحقيقية المُرتجلة من مقتنياتٍ مُجمّعة من الديانات الشعبية في أمريكا اللاتينية ، أو "المذابح" المنزلية التي بناها فنانون تشيكانو معاصرون . خط صدع محلي/عالمي ينفتح في قبو كورنيل ، مليء بتذكارات من باريس ، المكان الذي لم يزره قط . باريس ، الكون ، قبو منزل عادي في كوينز، نيويورك ، 3708 يوتوبيا باركواي . هذا ، كما نقول غالبًا ، "عملٌ قيد التنفيذ" ، عملٌ يدخل مجالًا واسعًا جدًا من الدراسات الثقافية المقارنة : تواريخ متنوعة ومترابطة للسفر والنزوح في أواخر القرن العشرين . هذا المدخل مُمَيَّز ومُمَكَّن ومُقيَّد بأعمال سابقة – أعمالي ، من بين أعمال أخرى . ولذلك سأعمل اليوم انطلاقًا من بحثي التاريخي حول الممارسة الإثنوغرافية بأشكالها الأنثروبولوجية الغريبة في القرن العشرين . لكن العمل الذي أسعى إليه لا يبني على أعمالي السابقة بقدر ما يُحدِّدها ويُغيّرها . ربما يُمكنني البدء بظرف سفرٍ احتل ، في رأيي على الأقل ، مكانةً نموذجية . لنسمِّه "تأثير سكوانتو" . سكوانتو هو الهندي الذي استقبل الحجاج عام ١٦٢٠ في بليموث ، ماساتشوستس ، وساعدهم على تجاوز شتاءٍ قاسٍ ، وكان يتحدث الإنجليزية بطلاقة .

لتتخيل تأثير الهدوء الذي أحدثه هذا اللقاء ، عليك أن تتذكر كيف كان "العالم الجديد" عام ١٦٢٠: كان بإمكانك أن تشمّ رائحة أشجار الصنوبر على بُعد خمسين ميلاً في البحر . تخيّل نفسك تدخل مكانًا جديدًا كهذا وتخوض تجربة غريبة ، وهي مقابلة باتوكسيت عائدًا لتوّه من أوروبا . "مواطن" هجين بشكل مُقلق ، التقى به في أقصى بقاع الأرض - مألوف بشكل غريب ، ومختلف تمامًا في تلك الألفة غير المُعالجة . هذا الأسلوب شائع بشكل متزايد في أدب الرحلات : فهو يُنظّم تقارير "ما بعد الحداثة" تقريبًا ، مثل "ليلة الفيديو" لبيكو آير في كاتماندو . ويُذكّرني هذا ببحثي التاريخي الخاص في اللقاءات الأنثروبولوجية تحديدًا ، حيث أواجه دائمًا شخصية إشكالية ، "المُخبر" .

يتبيّن أن عددًا كبيرًا من هؤلاء المحاورين ، وهم أفراد مُعقدون ، يُكلّفون عادةً بالتحدث باسم المعرفة "الثقافية" ، لديهم "إثنيتهم" الخاصة . ميولٌ "صريحة" وقصصٌ شيقةٌ عن السفر . كانوا من أهل الداخل والخارج ، مترجمين ومفسرين بارعين ، حاضرين . نادرًا ما كان الأشخاص الذين درسهم علماء الأنثروبولوجيا من مُحبي البقاء في منازلهم . بعضهم ، على الأقل ، كانوا مسافرين : عمال ، حجاج ، مستكشفين ، مُهتدين ، أو غيرهم من "المتخصصين التقليديين في السفر لمسافات طويلة" . <u>في تاريخ الأنثروبولوجيا في القرن العشرين ، ظهر "المخبرون" أولًا كسكان أصليين ؛ ثم ظهروا كمسافرين . في الواقع ، وكما سأشير، هم مزيج محدد من الدورين .</u>

يميل تحديد مواقع موضوعات دراسة عالم الأنثروبولوجيا من حيث "المجال" إلى تهميش أو محو العديد من المناطق الحدودية الضبابية ، والحقائق التاريخية التي تتسرب من الإطار الإثنوغرافي . إليكم قائمة جزئية .

(1) <u>تم محو وسائل النقل إلى حد كبير</u> – القارب ، وسيارة لاند روفر، وطائرة المهمات . تشير هذه التقنيات إلى اتصالات وتجارة منهجية سابقة ومستمرة مع أماكن وقوى خارجية ليست جزءًا من المجال / الموضوع . ينفصل خطاب الإثنوغرافيا ("التواجد هناك") عن خطاب السفر ("الوصول إلى هناك").

(2) تم محو العاصمة ، السياق الوطني . هذا ما فعله جورج أطلقت كوندومیناس على كل تلك الأماكن التي يجب عليك المرور بها والتواصل معها للوصول إلى قريتك أو إلى مكان العمل الذي ستسميه حقلك اسم "المنطقة المؤقتة" .

(3) وحُذفت أيضًا : منزل الباحث الجامعي . خاصةً الآن ، حيث أصبح من السهل السفر حتى إلى أبعد المواقع ، والآن ، حيث يمكن أن تكون جميع أنواع الأماكن في "العالم الأول" حقولًا (كنائس ، مختبرات ، مكاتب ، مدارس ، مراكز تسوق) ، فقد تكون حركة الدخول والخروج من الحقل من قِبل كل من السكان الأصليين وعلماء الأنثروبولوجيا متكررة جدًا .

(4) تتضاءل مواقع الترجمة وعلاقاتها . عندما يكون الحقل مسكنًا ، أو منزلًا بعيدًا عن الوطن ، حيث يتحدث المرء اللغة ويتمتع بنوع من الكفاءة العامية ، فإن الوسطاء العالميين - والمفاوضات المعقدة ، والتي غالبًا ما تكون سياسية - تميل إلى الاختفاء . لم يبقَ لنا سوى الملاحظة التشاركية ، وهي نوع من الحرية التأويلية للتنقل داخل المواقف الاجتماعية وخارجها .

بشكل عام ، ما يُخفي هو العالم العالمي الأوسع للاستيراد والتصدير بين الثقافات ، الذي يندمج فيه اللقاء الإثنوغرافي دائمًا . ولكن ، كما سنرى ، تتغير الأمور . علاوة على ذلك ، في مختلف الانتقادات الموجهة للأنثروبولوجيا - والتي تُعدّ جزئيًا ردودًا على المناهضة للاستعمار - الاضطرابات - نرى ظهور المُخبر كموضوع تاريخي مُعقد ، ليس نمطًا ثقافيًا ولا فردًا فريدًا . عملي الخاص ، على سبيل المثال لا الحصر ، قد شكك في السرد الشفهي-الكتابي المُختبئ في كلمة "مُخبر" . يتحدث السكان الأصليون ؛ ويكتب الأنثروبولوجي . تُمحى ممارسات الكتابة / النقش التي كان يتبعها المتعاونون الأصليون . محاولتي الخاصة لتكثيف الأيدي والخطابات المُشاركة في "ثقافة الكتابة" لا تهدف إلى تأكيد ديمقراطية ساذجة للتأليف التعددي ، بل إلى تخفيف السيطرة الأحادية للكاتب التنفيذي / الأنثروبولوجي ، وفتح باب النقاش حول التسلسل الهرمي للإثنوغرافيا وتفاوضها على الخطابات في مواقف مشحونة بالسلطة وغير متكافئة .

إذا كان التفكير في ما يُسمى بالمُخبر ككاتب / نقّاش يُثير بعض الاضطراب ، فكذلك التفكير فيه كمسافر . يُشكّك أرجون أبادوراي في الاستراتيجيات الأنثروبولوجية لتصنيف غير الغربيين كـ"سكان أصليين" . يكتب عن "احتجازهم" ، بل وحتى "سجنهم" ، من خلال عملية تجسيد جوهري تمثيلي يُطلق عليها "التجميد المجازي" ، وهي عملية يُجسّد فيها جزء أو جانب من حياة الناس كيانهم ككل ، مُشكّلاً مكانتهم النظرية في التصنيف الأنثروبولوجي . الهند تُمثّل التسلسل الهرمي ، وميلانيزيا تُمثّل التبادل ، وهكذا . "السكان الأصليون ، أناسٌ مُقيّدون بالأماكن التي ينتمون إليها ، جماعاتٌ لم تُلوّثها صلتهم بعالمٍ أوسع ، ربما لم يكونوا موجودين قط" . في كثير من الإثنوغرافيا التقليدية ، يُحدد الإثنوغرافي ما هو في الواقع رابط إقليمي / وطني / عالمي ، مُهمّشًا العلاقات الخارجية ونزوح "الثقافة" إلى الهامش .

تُثار الآن تساؤلات متزايدة حول هذه الممارسة . ويُعد عنوان كتاب جريج دينينج الرائع عن تاريخ الماركيز الإثنوغرافي : "الجزر والشواطئ" (1980) دليلاً على ذلك . فالشواطئ ، مواقع تفاعل السفر، تُمثل نصف القصة . أما كتاب إريك وولف "أوروبا وشعوب بلا تاريخ" (1982) ، فرغم أنه قد يُميل جدلية الثقافة المحلية / العالمية بقوة نحو التحديدات "الخارجية" (العالمية) ، إلا أنه يُمثل خطوةً دراماتيكيةً ومؤثرةً بعيدًا عن التركيز الإثنوغرافي على الثقافات المنفصلة والمتكاملة . ويكتب وولف : "بدلاً من عد التوافقات الاجتماعية مُحددة بذاتها ، نحتاج - منذ بداية أبحاثنا - إلى تصورها في روابطها الخارجية المتعددة" . أو ، في سياق أنثروبولوجي معاصر آخر ، لننظر إلى جملة من افتتاحية عمل جيمس بون المعقد في "التقاطع الإثنولوجي" ، "التقارب والتطرف" (1990) : "ما أصبح يُطلق عليه الثقافة البالية هو اختراعٌ متعدد المؤلفين

، وتشكيلٌ تاريخي ، وتشريعٌ ، وبناءٌ سياسي ، ومفارقةٌ متغيرة ، وترجمةٌ مستمرة ، ورمزٌ ، وعلامةٌ تجارية ، وتفاوضٌ غير توافقي على هويةٍ متباينة ، وأكثر من ذلك .

" لم تعد "الثقافة" الأنثروبولوجية كما كانت في السابق . وبمجرد أن يُنظر إلى التحدي التمثيلي على أنه تصوير وفهم اللقاءات التاريخية المحلية / العالمية ، والإنتاجات المشتركة ، والهيمنة ، والمقاومة ، يحتاج المرء إلى التركيز على التجارب الهجينة العالمية بقدر ما يركز على التجارب الأصيلة المتجذرة . في إشكاليتي الحالية ، ليس الهدف استبدال الشخصية الثقافية "الأصلية" بالشخصية الثقافية "المسافر" . بل المهمة هي التركيز على وساطات ملموسة بين الاثنين ، في حالات محددة من التوتر والعلاقة التاريخية . كلاهما ، بدرجات متفاوتة ، يُشكلان ما يُعد تجربة ثقافية . لا أوصي بجعل الهامش مركزًا جديدًا ("نحن" جميعًا مسافرون) ، بل بفهم ديناميكيات الإقامة / السفر بشكل مقارن .

وبميل الكفة نحو السفر ، كما أفعل هنا ، يصبح "الزمن الزمني" للثقافة (مكان أو مشهد يُنظم الزمان والمكان في شكل كلي قابل للتمثيل) أشبه بموقع لقاءات السفر بقدر ما هو أشبه بموقع الإقامة ؛ إنه أقل شبهًا بخيمة في قرية أو مختبر مُتحكم به أو موقع بدء وسكن ، وأكثر شبهًا بردهة فندق أو مقهى حضري أو سفينة أو حافلة . **إذا أعدنا النظر في الثقافة وعلمها ، الأنثروبولوجيا** ، من منظور السفر، فإن التحيز العضوي والطبيعي لمصطلح الثقافة - الذي يُنظر إليه كجسم متجذر ينمو ويعيش ويموت ، وما إلى ذلك - يُشكك فيه . وتبرز بوضوح أكبر الوقائع التاريخية المُصطنعة والمتنازع عليها ، ومواقع النزوح والتداخل والتفاعل .

وللتأكيد على هذه النقطة : لماذا لا نركز على أبعد مدى سفر لأي ثقافة مع النظر في مراكزها وقراها ومواقعها الميدانية المكثفة ؟ كيف تُفاوض الجماعات نفسها في علاقات خارجية ، وكيف تُعد الثقافة أيضًا موقع سفر للآخرين ؟ كيف تُعبر المساحات من الخارج ؟ إلى أي مدى يُعد جوهر جماعة ما محيطًا لجماعة أخرى ؟ إذا نظرنا إلى الأمر بهذه الطريقة ، فلن يكون هناك مجال لتهميش قائمة طويلة من الجهات الفاعلة : المبشرين ، والمتحولين ، المخبرون المتعلمون أو المتعلمون ، والأشخاص من أصول مختلطة ، والمترجمون ، وموظفو الحكومة ، والشرطة ، والتجار ، والمستكشفون ، والمنقبون ، والسياح ، والمسافرون ، وعلماء الإثنوغرافيا ، والحجاج ، والخدم ، والفنانون ، والعمال المهاجرون ، والمهاجرون الجدد .

هناك حاجة إلى استراتيجيات تمثيلية جديدة ، وهي في طور الظهور تحت ضغط . دعوني أذكر سريعًا عدة أمثلة - ملاحظات حول طرق النظر إلى الثقافة (إلى جانب التقاليد والهوية) من حيث علاقات السفر . السكان الأصليون ذوو الأصول المركزية . إن الحالة الأكثر تطرفًا التي أعرفها عن رواد الثقافة "الأصلية" المتنقلين هي قصة علمت بها من خلال بوب بروسمان ، وهو موسيقي ومؤرخ موسيقى غير أكاديمي ، والذي عمل لسنوات على جلب الموسيقى الهاوايية التقليدية إلى الولايات المتحدة القارية . انخرط بروسمان بشكل كبير مع عائلة مو (تُلفظ "موي")، وهي مجموعة من الفنانين المخضرمين الذين يعزفون على الغيتار الهاوايي ويغنون ويرقصون . يمثل عملهم النسخة الأكثر أصالة من غيتار السلايد والأنماط الصوتية الهاوايية في أوائل القرن العشرين .

لكن مقاربة موسيقى هاواي "التقليدية" من خلال فرقة مويس تُحقق نتائج غير متوقعة ، لأن تجربتهم كانت رحلة سفر شبه متواصلة . لأسباب مختلفة ، أمضى آل مويس ما يقارب ستة وخمسين عامًا في رحلاتهم ، ولم يعودوا إلى هاواي تقريبًا . عزفوا موسيقى هاواي في عروض "غريبة" في جميع أنحاء الشرق الأقصى ، وجنوب آسيا ، والشرق الأوسط ، وشمال إفريقيا ، وشرق وغرب أوروبا ، والولايات المتحدة . كما قدموا مجموعة واسعة من موسيقى البوب التي تُعزف في الفنادق . الآن ، في الثمانينيات من عمرهم ، عاد آل مويس مؤخرًا إلى هاواي ، حيث ، بتشجيع من فنانين إحياء مثل بروسمان ، يُبدعون موسيقى "أصيلة" من فترة المراهقة والعشرينيات .

يعمل بوب بروسمان على فيلم عن عائلة مو، وهو فيلمٌ يُتوقع أن يكون مميزًا ، ويعود ذلك جزئيًا إلى أن تال مو صنع أفلامه المنزلية الخاصة أينما ذهب . وهكذا ، يُقدم الفيلم رؤيةً هاوايةً متنقلةً للعالم ، ويطرح في الوقت نفسه سؤالًا حول كيفية محافظة عائلة مو على هويتها في كلكتا ، وإسطنبول ، والإسكندرية ، وبوخارست ، وبرلين ، وباريس ، وهونغ كونغ . كيف استطاعوا تقسيم هويتهم الهاوائية في تفاعلٍ دائمٍ مع مختلف الثقافات والموسيقى وتقاليد الرقص - وهي تأثيراتٌ صقلوها في عروضهم ، حسب الحاجة ؟ كيف حافظوا ، على مدى ستةٍ وخمسين عامًا في بيئاتٍ هجينةٍ عابرة ، على شعورهم بـ"الوطن" الهاوائي وابتكروه ؟ وكيف حاليًا ، هل تُعاد تدوير موسيقاهم في عملية ابتكار الأصالة الهاوائية المستمرة ؟ لا شك أن قصة الإقامة في السفر حالة متطرفة . لكن تجربة عائلة مويس تحمل صدىً غريبًا. (بالمناسبة ، علمتُ أيضًا من بحث بروسمان أن غيتار الفولاذ الوطني ، وهو آلة موسيقية شائعة في جميع أنحاء الولايات المتحدة في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي ، وغالبًا ما يُطلق عليه اسم "غيتار هاواي" ، قد اخترعه في الواقع مهاجر تشيكي يعيش في كاليفورنيا) .

ولنا لمحات أخرى عن إثنوغرافيا ناشئة تتناول الثقافة كعلاقات سفر، وفيلم "جيران" لجو ليهي ، من إخراج بوب كونولي وروبن أندرسون ، مثال جيد على ذلك . (تدور أحداث سلفها الأكثر شهرة ، "الاتصال الأول" ، في غينيا الجديدة في أوائل القرن العشرين) . جو ليهي ، وهو نتاج استعماري مختلط الدماء ، رجل أعمال ناجح - أطفال في المدارس الأسترالية ، وطبق استقبال الأقمار الصناعية خلف منزله في مرتفعات غينيا الجديدة . يروي كونولي وأندرسون رحلات ليهي الشخصية إلى بورت مورسبي وأستراليا ، مع التركيز على علاقاته الغامضة مع سكان المرتفعات ، أقاربه .

يبدو أن رجل الأعمال يستغل "جيرانه" الذين يكرهون ثروته . يظهر أحيانًا كفرداني متهور لا يكترث لمطالبهم ؛ وفي أحيان أخرى ، يوزع الهدايا ، متصرفًا كـ"رجل ذي نفوذ" داخل اقتصاد تقليدي . يبدو أن جو ليهي يتنقل بين ثقافة ميلانيزية واضحة المعالم... هنا ، لا يقتصر الأمر على كون "المواطن الأصلي" مسافرًا في النظام العالمي ، بل ينصب التركيز على شخصية غير نمطية ، شخص خارج مكانه ، ولكن ليس تمامًا - شخص في التاريخ . جو ليهي من الشخصيات التي تظهر في كتب الرحلات ، وإن لم تظهر في الإثنوغرافيا التقليدية . ومع ذلك ، فهو ليس مجرد فرد غريب الأطوار أو متثقف . بمشاهدة فيلم كونولي وأندرسون ، نظل غير متأكدين مما إذا كان جو ليهي رأسماليًا ميلانيزيًا أم رأسماليًا ميلانيزيًا - نوعًا جديدًا من الرجال الكبار، ما يزال مرتبطًا بطرق معقدة بجيرانه الغيورين الأكثر تقليدية . إنه ينتمي إلى الثقافة المحلية وليس إليها .

ثقافات السفر

يمكن للمرء أن يستشهد بالعديد من الأمثلة الأخرى ، مما يفتح مجالًا مقارنًا معقدًا . حتى الآن ، كنتُ أتحدث عن طرق مغادرة الناس لأوطانهم وعودتهم إليها ، مُجسدين بذلك عوالم مختلفة المراكز، وعالميات مترابطة . وأضيف إلى ذلك : المواقع التي يجتازها السياح ، وأنابيب النفط ، والسلع الغربية ، وإشارات الراديو والتلفزيون . على سبيل المثال ، هيو ركز كتاب برودي الإثنوغرافي "خرائط وأحلام" (1982) على الممارسات المكانية المتضاربة - طرق الاحتلال ، والتنقل ، والاستخدام ، ورسم الخرائط - من قِبل صيادي أثاباسكان وشركات النفط التي تمد خطوط الأنابيب عبر أراضيهم . ولكن هنا ، يبدأ مفهوم معياري وتاريخي مُدمج في كلمة "سفر" في التأثير بشدة . (هل يُمكنني ، دون تردد جدي ، ترجمة صيد أثاباسكان إلى سفر ؟ بأي عنف وبأي فقدان للخصوصية ؟) ألحّت عليّ عالمة الأنثروبولوجيا كريستينا تيرنر في هذه النقطة ، هل سكوانتو معيار ناشئ ؟ المخبرون الإثنوغرافيون مسافرون ؟ لكن المخبرين ليسوا جميعهم مسافرين ، وهم

ليسوا من السكان الأصليين أيضًا . يختار الكثيرون الحد من تنقلهم ، بل إن المزيد منهم يُبقون "في مكانهم" من قِبل القوى القمعية .

قامت تيرنر بعمل إثنوغرافي بين عاملات المصانع اليابانيات ، وهنّ نساء لم "يسافرن" ، وفقًا لأي تعريف معياري . إنهن يشاهدن التلفاز ؛ ولديهن حسٌّ محلي / عالمي ؛ ويتناقضن مع تصنيفات الأنثروبولوجيا ؛ ولا يُجسّدن ثقافةً فحسب . لكنها أخبرتني أن الإصرار على "السفر" حرفيًا خطأٌ كبير . فهذا يثير أسئلةً كثيرةً ويُقيّد بشكلٍ مُفرطٍ القضيةَ المهمةَ المتمثلةَ **في كيفية "تموضع" الأشخاص ثقافيًا** . من الأفضل التأكيد على أشكالٍ مُختلفةٍ من التواصل الداخلي والخارجي ، مُذكّرين بأن السفر، أو النزوح ، قد ينطوي على قوىً مؤثرةٍ – التلفزيون ، والراديو ، والسياح ، والسلع ، والجيوش .

تقودني وجهة نظر تيرنر إلى مثالي الإثنوغرافي الأخير، وهو كتاب سمادار لافي "شعرية الاحتلال العسكري" (1990) . تدور أحداث إثنوغرافيا لافي عن **البدو في جنوب سيناء** ، أرضٌ سكنها شعوبٌ مختلفةٌ منذ زمنٍ طويل ، كان آخرها الاحتلال الإسرائيلي الذي تبعه مباشرةً التحرير المصري . تُظهر الإثنوغرافيا البدو في خيامهم يروون القصص ، ويمزحون ، ويسخرون من السياح ، ويشكون من الحكم العسكري ، ويصلون ، ويفعلون كل أنواع الأشياء "التقليدية"... ولكن مع تشغيل الراديو ، خدمة بي بي سي العالمية (النسخة العربية) . في إثنوغرافيا لافي ، تسمع طقطقة الراديو . "شغِطِف ، هل يمكنك صبّ بعض الشاي ؟" طلب الجليد بلا مبالاة من الأحمق المحلي . دخل الشغِطِف إلى المَجْد ، وللمرة الألف ، صبّ لنا المزيد من أكواب الشاي الحلو الساخن .

"ماذا قالت الأخبار ؟" سأل الجليد الرجل الذي ألصق أذنه بجهاز الراديو الترانزستور، لكنه لم ينتظر إجابة . "سأخبرك" ، قال بتعبيرٍ يشوبه الحيرة والجدية . "لن يحل أحدٌ المشاكل بين روسيا وأمريكا ، وحدهم الصينيون سيجدون مخرجًا . وعندما يأتي اليوم الذي يستولون فيه على سيناء ، ستكون تلك نهاية الأمر ". إنها نكتةٌ جيدة - فكلمة "سيناء" بالعربية هي "سينا" ، و"الصيني" هي "سيني" - فنضحك من أعماق قلوبنا . لكن شغِتيف ، ربما يُظهر غبائه الشديد ، يُحدّق بنا بعينين مفتوحتين على اتساعهما . يتابع الغاليد : "كان اليونانيون هنا وتركوا وراءهم الدير [سانتا كاتارينا] ، وكان الأتراك هنا وتركوا وراءهم القلعة [في نويبعة ترابين] ، ورسم البريطانيون الخرائط ، وأحضر المصريون الجيش الروسي (وبعض آبار النفط) ، وأحضر الإسرائيليون الأمريكيين الذين صوّروا الجبال في الأفلام ، والسياح من فرنسا واليابان ، والغواصين من السويد وأستراليا ، وتوكلي على الله أن ينقذكم من الشيطان ، فنحن المزينة لسنا سوى بيادق في أيديهم جميعًا . نحن كالحصى وروث الشيزة ".

عاد الجميع ما عدا شقيطف يضحكون ضحكًا هديرًا . أشار إليّ المنسق بإصبعه السبابة الطويل ، قائلًا بصوت آمر : "اكتب كل شيء ، يا من يكتبنا!" (دي إليّ توكتوبنا - أحد لقبيّ المزينيين) . لنبدأ مجددًا بتلك الإشارة الغريبة للفنادق . كتبتها في سياق عودتي إلى مقال سابق عن السريالية وباريس عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي . أدهشني عدد السرياليين الذين سكنوا فنادق ، أو مساكن مؤقتة شبيهة بالفنادق ، وكانوا يتنقلون بين باريس وخارجها . بدأتُ أُدرك أن الحركة لم تكن بالضرورة متمركزة في باريس ، أو حتى في أوروبا... كل ذلك يعتمد على كيفية (وأين) رؤية المرء للنتائج التاريخية للحظة الحداثية... بدأتُ أتخيل إعادة كتابة باريس في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي كمواجهات سفر - بما في ذلك تحويلات في العالم الجديد عبر العالم القديم - مكانًا للمغادرة والوصول والترانزيت . **يمكن فهم المراكز الحضرية الكبرى كمواقع محددة وقوية للسكن / السفر.**

في استحضاري لفنادق مختلفة ، بدأت المواقع ذات الصلة باللقاء الثقافي والخيال تتلاشى من المراكز الحضرية مثل باريس . في الوقت نفسه ، ظهرت مستويات من التناقض في كرونوتوب الفندق . في البداية ، رأيتُ مهمتي هي إيجاد إطار للرؤى السلبية والإيجابية للسفر: السفر ، الذي يُنظر إليه سلبًا على أنه عابر ، سطحي ، سياحة ، منفى ، وانعدام الجذور (استحضار ليفي شتراوس لبنية غويانيا القبيحة ، ونزل نايبول اللندني) ؛ والسفر الذي يُصوَّر إيجابيًا على أنه استكشاف ، وبحث ، وهروب ، ولقاء مُغيّر (فندق بريتون "الرجال الكبار" ، وإلهام جون جوردان السياحي) . كما أشار التمرين إلى الأجندة الأوسع التي كنتُ أتناولها هنا : إعادة التفكير في الثقافات كمواقع للإقامة والسفر، وأخذ معارف السفر على محمل الجد . وهكذا ، برزت البيئة المتناقضة للفندق كمُكمِّل للحقل (الخيمة والقرية) . لقد أطرت ، على الأقل ، لقاءات بين أشخاص بعيدين عن أوطانهم إلى حد ما . كما أُعيد تدويره في هذه المحاضرة ، إذًا ، يُجسّد الفندق مسارًا محددًا في تاريخ مُعقّد لثقافات السفر (وثقافات السفر) في أواخر القرن العشرين . وكما ذكرتُ ، فقد أصبح مُشكلةً جديةً ، من نواحٍ رئيسيةٍ عديدةٍ تتعلق بالطبقة ، والجنس ، والعرق ، والموقع الثقافي / التاريخي ، والامتياز .

تُشير صورة الفندق إلى شكلٍ أقدم من السفر الغربي النبيل ، عندما كان الوطن والخارج ، والمدينة والريف ، والشرق والغرب ، والمدينة الكبرى والنقيض ، مُحدّدًا بشكلٍ أوضح . في الواقع ، إن تمييز "السفر" حسب الجنس ، والطبقة ، والعرق ، والثقافة واضحٌ للغاية . "السفر الجيد" (بطولي ، تعليمي ، علمي ، مُغامر ، نبيل) هو شيءٌ (يجب) على الرجال القيام به . تُمنع النساء من السفر الجاد . يذهب بعضهن إلى أماكن بعيدة ، ولكن في الغالب كرفيقات أو "استثناءات" - شخصيات مثل ماري كينغسلي ، وفريا ستارك ، وفلورا تريستان ، نساء أُعيد اكتشافهن الآن في مجلدات بعناوين مثل "بركات تنورة سميكة جيدة" ، أو "سيدات مسافرات من العصر الفيكتوري" . تُعد "سيدات مسافرات" (برجوازيات ، بيضاوات) غير عاديات ، ويُوصفن بأنهن مميزات في الخطابات والممارسات السائدة . على الرغم من أن الأبحاث الحديثة تُظهر أنهن كن أكثر شيوعًا مما كان يُعتقد سابقًا ، إلا أن النساء المسافرات أُجبرن على التوافق ، أو التنكر ، أو التمرد بتكتم ضمن مجموعة من التعريفات والتجارب الذكورية المعيارية .

يُذكر المرء برواية جورج ساند الشهيرة عن ارتداء ملابس الرجال للتنقل بحرية في المدينة ، وتجربة الحرية الجندرية للمتسكع . أو حسد الليدي ماري مونتاج لـ... التنقل المجهول للنساء المحجبات في إسطنبول . وما هي أشكال النزوح ، المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بحياة النساء ، التي لا تُعد "سفرًا" حقيقيًا ؟ هل هي زيارة ؟ أم حج ؟ نحن بحاجة إلى معرفة المزيد عن كيفية سفر النساء ، وكيف يسافرن حاليًا ، في تقاليد وتواريخ مختلفة . هذا موضوع مقارن واسع النطاق بدأ للتو في التناول : على سبيل المثال ، في أعمال سارة ميلز ، وكارين كابلان ، وماري لويز برات . تتكشف التضاريس الخطابية / التخيلية للسفر الغربي على أنها مُجَنْدَرة بشكل منهجي : عروض رمزية للذات والآخر مُمَأسسة بقوة ، من العمل البحثي العلمي إلى السياحة العابرة للحدود الوطنية .

ورغم وجود استثناءات بالتأكيد ، لا سيما في مجال الحج ، إلا أن هيمنة واسعة للتجارب الذكورية في مؤسسات وخطابات "السفر" واضحة - في الغرب ، وبدرجات متفاوتة ، في أماكن أخرى . لكن من الصعب التعميم بثقة كبيرة ، لأن الدراسة الجادة والعابرة للثقافات للسفر لم تتطور بشكل جيد . ما أقترحه هنا هو أسئلة بحثية ، وليست استنتاجات . أود الإشارة ، بالمناسبة ، إلى مصدرين جيدين : كتاب "شراع يوليسيس" (1988) ، لماري هيلمز ، وهو دراسة مقارنة واسعة النطاق للاستخدامات الثقافية للمسافة الجغرافية والقوة / المعرفة المكتسبة من السفر (دراسة ركزت على تجارب الرجال) ؛ وكتاب "المسافرون المسلمون" (1990)

، الذي حرره ديل إيكلمان وجيمس بيسكاتوري ، وهو مجموعة متعددة التخصصات مصممة لإبراز تعقيد وتنوع الممارسات المكانية الدينية / الاقتصادية .

وهناك مشكلة أخرى في صورة الفندق : ميله إلى الحنين إلى الماضي . ففي تلك الأجزاء من المجتمع المعاصر التي يُمكننا وصفها بحق بأنها ما بعد حداثية (لا أعتقد ، يا جيمسون ، أن ما بعد الحداثة ما تزال ثقافة مهيمنة ، حتى في "العالم الأول") ، يُقدم الموتيل بالتأكيد كرونوتوبًا أفضل . لا يمتلك الموتيل ردهة استقبال حقيقية ، وهو مُرتبط بشبكة طرق سريعة - مُرحِّل أو عقدة بدلًا من أن يكون موقع لقاء بين ثقافات مُتماسكة . استخدمت ميغان موريس كرونوتوب الموتيل بفعالية لتنظيم مقالها "في موتيل هنري باركس" . لا أستطيع أن أُنصف مناقشاته المُوحية حول الجنسية والجنس والمساحات والسرديات المُحتملة . أستشهد به هنا كإزاحة لكرونوتوب الفندق للسفر، لأنه ، كما تقول موريس ، "الموتيلات ، على عكس الفنادق ، تُهدم أنظمة الإحساس بالمكان والمكان والتاريخ . إنها تُخلّد ذكرى الحركة والسرعة والتداول الدائم فقط" .

من بين الطرق الرئيسية الأخرى التي يُصبح بها كرونوتوب الفندق ((زمان ومكان الفندق)) - ومعه استعارة السفر بأكملها - إشكاليةً تتعلق بالطبقة والعرق و"الموقع" الاجتماعي والثقافي . ماذا عن كل السفر الذي يتجنب إلى حد كبير دوائر الفنادق أو الموتيلات ؟ إن لقاءات السفر لشخص ينتقل من ريف غواتيمالا أو المكسيك عبر حدود الولايات المتحدة تختلف تمامًا ؛ إذ يمكن لغرب أفريقي الوصول إلى ضاحية في باريس دون الحاجة إلى الإقامة في فندق . ما هي البيئات التي يمكن أن تُشكل واقعيًا العلاقات الثقافية لهؤلاء "المسافرين" ؟ بينما أتخلى عن بيئة الفندق البرجوازية لأتوجه إلى لقاءات السفر، مواقع المعرفة بين الثقافات ، أكافح ، دون نجاح تام ، لتحرير مصطلح "السفر" المرتبط به من تاريخ المعاني والممارسات الأوروبية والأدبية والذكورية والبرجوازية والعلمية والبطولية والترفيهية .

كان مسافرو العصر الفيكتوري البرجوازيون ، رجالاً ونساءً ، يرافقهم عادةً خدم ، وكثير منهم من ذوي البشرة الملونة . لم يصل هؤلاء الأفراد قط إلى مرتبة "المسافرين" . نادرًا ما تجد تجاربهم ، والروابط الثقافية التي بنوها ، واختلاف وصولهم إلى المجتمعات التي زاروها - مثل هذه اللقاءات - تمثيلًا جادًا في أدب السفر . للعنصرية بالتأكيد علاقة وثيقة بهذا . ففي الخطابات السائدة عن السفر، لا يمكن لشخص غير أبيض أن يُنظر إليه كمستكشف بطولي ، أو مفسر جمالي ، أو مرجع علمي . ومن الأمثلة الجيدة على ذلك الكفاح الطويل لإشراك ماثيو هينسون ، المستكشف الأمريكي الأسود الذي وصل إلى القطب الشمالي مع روبرت بيري ، في قصة هذا الاكتشاف الشهير - كما رواه بيري ، ومجموعة من المؤرخين ، وكتاب الصحف ، ورجال الدولة ، والبيروقراطيين ، والمؤسسات المهتمة مثل مجلة ناشيونال جيوغرافيك . وهذا لا يعني شيئًا عن مسافري الإسكيمو الذين جعلوا الرحلة ممكنة ! فقد استُبعدت مجموعة من الخدم والمساعدين والرفاق والمرشدين والحاملين ، وغيرهم ، من دور المسافرين الحقيقيين بسبب عرقهم وطبقتهم الاجتماعية ، ولأن وضعهم بدا وكأنه وضع تابع فيما يتعلق بالاستقلال المفترض للمسافر الفرداني البرجوازي .

كان هذا الاستقلال ، بدرجات متفاوتة ، مجرد خرافة . ومع تنقل الأوروبيين عبر أماكن غير مألوفة ، وفّرت لهم بنية تحتية متطورة من المرشدين والمساعدين والموردين والمترجمين والناقلين راحةً وأمانًا نسبيين . هل يُعد عمل هؤلاء الأشخاص "سفرًا" ؟ من الواضح أن أي دراسة ثقافية مقارنة سترغب في تضمينهم و وجهات نظرهم الكوزموبوليتانية الخاصة . ولكن لتحقيق ذلك ، يجب أن تُحدث تحولًا جذريًا في مفهوم السفر كخطاب ونوع أدبي . من الواضح أن أنواعًا مختلفة من الناس تسافر، مكتسبةً معارفَ وقصصًا وفهمًا سياسيًا وثقافيًا معقدًا ، دون أن تُنتج "كتابات رحلات" . وقد نُشرت بعض روايات هذه التجارب باللغات

الغربية - على سبيل المثال ، مذكرات رحلات القرن التاسع عشر التي كتبها المبشر راروتونغا ، تاونغا ، أو سجلات القرن الرابع عشر لابن بطوطة . لكنها قمم جبال جليدية مفقودة...

[نحن نخاطر] بالتقليل من شأن مدى إجبار التنقل ، وتنظيمه ضمن أنظمة عمل تابعة شديدة الانضباط ((الاختصتص)) . في سياق معاصر، يثير التفكير في العمال العالميين ، وخاصة العمالة المهاجرة ، في استعارات "السفر" مجموعة معقدة من المشكلات . إن الضوابط السياسية والضغوط الاقتصادية التي تُسيطر على أنظمة العمالة المهاجرة تُعارض بشدة أي نظرة مُفرطة التفاؤل بشأن تنقل الفقراء ، وهم عادةً من غير البيض ، والذين يُضطرون لمغادرة ديارهم للبقاء على قيد الحياة . فالمسافر، بحكم تعريفه ، هو شخص يتمتع بالأمن والامتياز اللازمين للتنقل بطرق غير مُقيدة نسبيًا . على أي حال ، هذه هي خرافة السفر .

في الواقع ، وكما تُظهر دراسات مثل دراسات ماري لويز برات ، فإن معظم المسافرين البرجوازيين والعلميين والتجاريين والجماليين انتقلوا ضمن دوائر مُحددة للغاية . ولكن حتى لو أمكن "تحديد" هؤلاء المسافرين البرجوازيين على مسارات مُحددة تُمليها العلاقات العالمية السياسية والاقتصادية والثقافية (غالبًا ما تكون ذات طبيعة استعمارية أو ما بعد استعمارية أو استعمارية جديدة) ، فإن هذه القيود لا تُقدم أي تكافؤ بسيط مع المهاجرين والعمال المهاجرين الآخرين . من الواضح أن ألكسندر فون هومبولت لم يصل إلى ساحل أورينوكو للأسباب نفسها التي دفعت عاملًا آسيويًا متعاقدًا . يتنقل المسافرون تحت وطأة ضغوط ثقافية وسياسية واقتصادية قوية ، و... يتمتع بعض المسافرين بامتيازات مادية ، بينما يعاني آخرون من الظلم . هذه الظروف المحددة تُحدد بشكل حاسم طبيعة السفر المعني - التنقلات في دوائر استعمارية ، واستعمارية جديدة ، وما بعد استعمارية محددة ، وشتات مختلف ، وحدود ، ومنفيين ، وطرق ملتوية ، وعودة . من هذا المنظور، يُشير السفر إلى مجموعة من الممارسات المادية والمكانية التي تُنتج معارف ، وقصصًا ، وتقاليد ، وسلوكيات ، وموسيقى ، وكتبًا، ومذكرات ، وغيرها من أشكال التعبير الثقافي .

حتى أقسى ظروف السفر، والأنظمة الأكثر استغلالًا ، لا تُخمد تمامًا المقاومة أو ظهور ثقافات الشتات والمهاجرين . لقد أدى تاريخ الاستعباد عبر الأطلسي ، على سبيل المثال لا الحصر، إلى نشوء مجموعة من الثقافات السوداء المترابطة : الثقافة الأمريكية الأفريقية ، والثقافات الأفريقية الكاريبية ، والثقافات البريطانية ، والثقافات الأمريكية الجنوبية . نحن بحاجة إلى وعي مقارن أفضل بهذه الثقافات وعدد متزايد من "ثقافات الشتات" الأخرى . وكما جادل ستيوارت هول في سلسلة من المقالات الاستفزازية ، فإن ظروف الشتات تدعو إلى إعادة تصور - نظريًا وسياسيًا - للمفاهيم المألوفة عن العرق والهوية ؛ تُميّز الحوارات التاريخية غير المحسومة بين الاستمرارية والانقطاع ، والجوهر والموضعية ، والتجانس والاختلاف (التداخل بين "نحن" و"هم") التمفصلات الشتاتية . لا تنفصل ثقافات النزوح والزرع هذه عن تواريخ محددة ، غالبًا ما تكون عنيفة ، للتفاعل الاقتصادي والسياسي والثقافي - تواريخ تُولّد ما يُمكن تسميته بالكوزموبوليتانية المتباينة .

نتجنب هذا التركيز، على الأقل ، المحلية المفرطة للنسبية الثقافية الخصوصية ، فضلًا عن الرؤية العالمية المفرطة للثقافة الأحادية الرأسمالية أو التكنوقراطية . ومن هذا المنظور، تبدو فكرة أن فئات معينة من الناس كوزموبوليتانية (مسافرون) بينما البقية محلية (سكان أصليون) بمثابة أيديولوجية ثقافة مسافرة واحدة (قوية جدًا) . ما أقصده ، مرة أخرى ، ليس مجرد قلب استراتيجيات التوطين الثقافي ، أي صناعة "السكان الأصليين" ، وهو ما انتقدته في البداية . أنا لا أقول إنه لا توجد مواقع أو منازل ، وأن الجميع - أو ينبغي أن يكونوا - - مسافر ، أو كوزموبوليتاني ، أو مُنزَّه عن الانتماء الإقليمي . هذا ليس ترحالًا . بل ما هو على المحك هو نهج دراسات ثقافية مقارنة لتاريخ محدد ، وتكتيكات ، وممارسات يومية للإقامة والسفر: السفر في الإقامة ، الإقامة في السفر.

أتمسك بمصطلح "السفر" كمصطلح للمقارنة الثقافية تحديدًا بسبب فساده التاريخي ، وارتباطاته بالهيئات العرقية والجندرية ، والامتيازات الطبقية ، و وسائل النقل المحددة ، والطرق المطروقة ، والوكلاء ، والحدود ، والوثائق ، وما شابه . أفضِّله على مصطلحات تبدو أكثر حيادية و"نظرية" ، مثل "النزوح" ، والتي قد تُسهِّل رسم أوجه التشابه بين التجارب التاريخية المختلفة . (معادلة ما بعد الاستعمار / ما بعد الحداثة ، على سبيل المثال) . وأنا أُفضّله على مصطلحات مثل "الترحال" ، التي غالبًا ما تُعمّم دون مقاومة ظاهرة من التجارب غير الغربية . (علم الترحال : شكل من أشكال بدائية ما بعد الحداثة ؟) .

يبدو لي **مصطلح "الحج" مصطلحًا مُقارنًا أكثر إثارة للاهتمام للعمل به** . فهو يشمل نطاقًا واسعًا من التجارب الغربية وغير الغربية ، وهو أقل تحيزًا للطبقة والجنس من مصطلح "السفر" . علاوة على ذلك ، لديه طريقة لطيفة لتقويض التعارض التأسيسي الحديث بين المسافر والسائح . لكن معانيه "المقدسة" تميل إلى الهيمنة - على الرغم من أن الناس يذهبون للحج لأسباب دنيوية ودينية . وفي النهاية ، ولأسباب تتعلق بالتحيز الثقافي ، أجد صعوبة في جعل مصطلح "الحج" يشمل "السفر" أكثر من العكس . (وينطبق الأمر نفسه على مصطلحات أخرى مثل "الهجرة") . **على أي حال ، لا توجد مصطلحات أو مفاهيم محايدة وغير ملوثة . تحتاج الدراسات الثقافية المقارنة إلى العمل ، بمنهج نقدي ذاتي ، بأدوات مخترقة ومثقلة تاريخيًا...**